75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية • تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الرابع - ١٣٩٥ — ١٩٧٥

الشيخ ابراهيم اليازجي

عروبةٌ وعربيـــة

بقلم
حارث طه الراوي

يعد الشيخ ابراهيم اليازجي في طليعة علماء اللغة العربية الملمين بعلومها وباسرار جمالها الاخاذ والذائدين عن حياضها والعاملين على كشف قدرتها على التطور وفقا لتطور الحضارة البشرية . وقد اعترف له بهذه المكانة المرموقة كبار ادباء العصر ومنهم « مصطفى لطفي المنفلوطي » الذي قال عنه :

« هو اكبر عالم لغوي في العصر الحاضر ، وانفق له ما لا يتيسر الا لقليل من اللغويين من قوة البيان وبراعة الانشاء ، فهو فخر سوريا خاصة والعرب عامة ، ولو ان الله ابقاه للغة العربية لنالت فوق ما نالت على يده خيرا كثير »(١)

والذي يؤسف له ان هذا العالم الكبير لم ينل من تكريم امته العربية شيئا حال حياته ، وانما كرم ، بعد مماته بمدة طويلة عندما صنع له المغتربون العرب في البرازيل تمثـــالا نصفيا متواضعا رفع الستار عنه في بيروت سنة ١٩٢٤ . اما العثمانيون فقد منحوه « الوسام العثماني » . ومنحه ملـك أسوج والنروج نوط العلوم والفنون ، فنعم بهذا التكريم حال حياته .

* *

ولد الشيخ ابراهيم اليازجي في «بيروت» وذلك في الثاني من اذار سنة ١٨٤٧ وتلقى مبادىء العربية على ابيه الشيخ ناصيف اليازجي(٢) . ويقول جرجي زيدان(٣) :

« على ان اكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات انما قراه على نفسه واكتسبه بجده وذكائه » .

ولبى ابراهيم نداء الشعر ولما يزل طري العود في عنفوان صباه ، وزاوله وبلغ به مرتبة الجودة في شبابه ، متفوقا على الكثيرين من شعراء زمانه من الذين كانوا مصفدين بقيود الصناعة اللفظية الثقيلة ، فحكمه الشعراء في قصائدهم لما عهدوه فيهمن خبرة فنية واسعة وذوق رفيع في هذا الباب .

واحس الشيخ ابراهيم ان الشعر وحده لا يروي غليل نفسه المتعطشة الى مختلف مناهل الثقافة العذبة ، فهجره، ما عدا السوانح ، وتفرغ لمطالعة الكتب اللغوية والادبيـــة والعلمية بنهم ما بعده نهم ، ودرس الفقه الحنفي على الشيخ محيي الدين اليافي احد مشاهير ائمة بيروت في وقته . ثم عهد اليه تحرير جريدة « النجاح» البيروتية سنة ١٨٧٢ ، وكان يديرها ، يومئذ ، صاحباها « يوسف الشلفون »(٤) ورزق الله خضرا . وكانت تصدر ، آنذاك ، مرة في الاسبوع بعشـــرين صفحة ، ولكن الشيخ اليازجي ترك العمل فيها في السنة نفسها بسبب قلة المكافاة المخصصة له وذهب الى مدرسة اليسوعيين في قرية « غزير » اللبنانية ..

وسبق للمرسلين الامريكان ، في اواسط القرن التاسع عشر ، ان استعانوا ـ عندما ارادوا نقل التوراة الى العربيـة ـ بالشيخ «ناصيف اليازجي »وبالشيخ «يوسف الاسير »(٥) وبالمعلم « بطرس البستاني »(٦) وذلك في التنقيـــح وضبط العبارات ، فالتزم هؤلاء العلماء الجانب الحرفي من الترجمة. ولهذا استعان الآباء اليسوعيون بالشيخ ابراهيم اليازجي وفوضوا اليه تنقيح العبارة من حيث الانشاء الفني ، فضلا عن الضبط النحوي واللغوي فانفق الشيخ في هذا العمل وفي تصحيح كتب اخرى نحو تسع سنين ، ودرس خلالها اللغـة العبرانية لتطبيق عبارة التعريب على الاصل « فجاءت ترجمة اليسوعيين اصح ترجمات التوراة العربية لغة والصحهاعبارة واجزلها اسلوبا . ويصدق ذلك ، على الخصوص ، في العهـد

(١) عيسى ميخائيل سابا ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، نوابغ الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٣١ .

(٢) لغوي مدقق ونحوي محقق وشاعر مطبوع . ولد في قرية « كفر شيما » بلبنان في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ وتوفي في ٨ شباط سنة ١٨٧١ . من مؤلفاته الشهيرة « مجمـــع البحرين » و « جرف الفرا في علم النحو » .

(٣) مجلة « الهلال » ، جـ٥ ، السنة ٥ ، فبراير (شباط) ١٩٠٧ ، وفي مقدمة ديوان « العقد » لابراهيم اليازجي ، ص ١٥ .

(٤) صحافي متأدب . ولد في بيروت سنة ١٨٣٩ وتوفي فيهاسنة ١٨٩٦ ، من مؤلفاته « انيس الجليس » .

(٥) كاتب ، فقيه ، شاعر . ولد في صيدا بلبنان سنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٨٩ . من مؤلفاته « رائض الفـــرائض » و «شرح اطواق الذهب » .

(٦) صاحب دائرة المعارف الشهيرة وصاحب قاموس « قطر المحيط » . ولد في لبنان سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٨٢ .

القديم ، اما العهد الجديد فقد اخبرنا رحمه الله انهم لم يطلقوا يده في تنقيحه كما يشاء »(٧) .

وكان الشيخ ابراهيم اثناء انهماكه بهذا العمل يعلم المعاني والبيان وآداب اللغة العربية في المدرسة البطريركية ببيروت وواصل عمله في التعليم بعد انجازه لتنقيح التوراة . وانم ما تركه والده غير كامل من الشروح ، لا سيما شرح « ديوان المتنبي » الذي سماه ، العرف الطيب ، فقد سبق للشيخ ناصيف ان علق على بعض ابيات ابي الطيب شرحا موجزا ، فتوسع نجله الشيخ ابراهيم في الشروح . وقد شرع بهذا العمل الادبي الهام سنة ١٨٨٢ واتمه في اربع سنوات مذيلا بنقد لغوي لشعر ابي الطيب ، وبالرغم من هذه الجهود الجسيمة التي بذلها في الشرح والنقد اللغوي فقد نسبه لابيه ولم يجعل الفضل لنفسه فضرب بذلك مثلا في نكران الذات وفي تواضع العلماء الحقيقيين ..

ونظرا لاهمية بحثه النفيس المنشور في مقدمة «العرف الطيب » في تقييم شعر ابي الطيب المتنبي تقييما علميا موضوعيا يدل دلالة واضحة على طول باع الشيخ ابراهيم في النقد الادبي الصحيح وفي الموازنة الدقيقة بين شعر الفحول من الشعراء ، فيجمل بي ان استشهد بما ورد منه في كتاب « مختارات من ابراهيم اليازجي »(٨) . قال اليازجي :

« .. ومن تفقد اوائل ديوانه ، رآها كذلك الوانا تبعا لمقامات الكلام ومراتب المخاطبين وكلما امعن فيما وراء ذلك وجد هذا التلون فيه اخفى آثارا واقل عروضا(٩) الى ان استفلت طريقه واقلع عن موقف التقليد . الا انه لم يزل في ملكته شيء من ذلك القديم اشبه بعداد(١٠) السليم(١١) يعاوده حيث يحتفل ، وبقصد الافراب والمبالغة في الاحسان ، فياتي كلامه معقدا بادي التكلف . ولهذا ترى شعره في ابي العشائر، اسهل اسلوبا واظهر اغراضا من بعض شعره في سيف الدولة، مع انه ، ولا شك ، كان ايام اتصاله بسيف الدولة اغزر مادة، واقدر على التصرف بازمة الكلام . وانظر الى قصيدته في ابي العشائر التي اولها : « اتراها لكثرة العشاق » وقابلها ، مع شعره في سيف الدولة ، بالقصيدة التي اولها : « رويدك ايها الملك الجليل » مع تداني العهد بين القصيدتين ، ثم انظر الى قوله فيه : « ايدري ما ارابك من يريب » وقوله : « القلب اعلم يا عذول بدائه » وقوله في رثاء تغلب بن حمدان « ما سدكت علة بمورود » وقابل هذه كلها بقوله : « انا لاتمي ان كنت وقت اللوائم » هي قبل شعره في ابي العشائر. وان شئت فتجاوزها الى ما قبل ذلك وقابلها بقوله : « لقد حازني وجد بمن حازه بعد » واختها وقوله : « اطاعن خيلا من فوارسها الدهر » وقوله : « قد علم البين منا البين اجفانا » الى ما في طبقة هذه القصائد مما نظمه قبل ذلك بزمن طويل ، فانك ، ولا جرم ، ترى هذه افصح نظما واحسن ديباجة وابدى اغراضا ، على دقة في المعاني وابتكار قد لا تجدهما في تلك . وذلك انه ، عند اتصاله بسيف الدولة ، وقف منه بباب حافل بالشعراء والعلماء ، على ما هو مشهور من حال سيف الدولة ورغبته في الادب ، حتى يقال انه اجتمع ببابه منهم ما لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء . وكان سيف الدولة نفسه من الشعراء المجيدين ، وكان يتصدى للاقتراح على المتنبي والنقد عليه احيانا بما ذكرنا بعضا منه في هذا الشرح . وكذلك كان اكثر بني حمدان ، وقد ذكر منهم الثعالبي عدة وافرة واورد لهم شعرا فائقا ، وفي جملتهم ابو فراس ، وهو في بعض شعره اشعر من المتنبي . وكان المتنبي يتحاماه ويتحرز من نقده ، وقد نقلنا في الشرح عند رواية قصيدته التي اولها « واحر قلباه » ما كان من مناقشة ابي فراس له ، ولذلك لم يكن للمتنبي بد من حشد القريحة في مدائح سيف الدولة ، والاكثار من التحري والتنقيح في الفاظه ومعانيه ، والامعان في الاحتفال الى ما وراء طبعه ، حتى تنقلب قريحته صنعة وبادرته تكلفا ، ثم اذا انتقلت الى شعره في كافور وجدته قد عاد الى السهولة والرشاقة فاشبه شعره في ابي العشائر ومن قبله . وشعره في ابن العميد متاخر عن شعره في كافور ، لكنه اشبه بشعره في سيف الدولة ، لان ابن العميد كان من مشاهير علماء الادب واعراء النقد ، وله على المتنبي مآخذ ذكرنا ما تيسر منها في محله . اما شعره في عضد الدولة فانزل رتبة من ذلك كله ، لانه كان يرسل الكلام فيه من فضل القريحة ، لقلة المزاحمين والنقاد ، فلم يكن يتوخى الاحتفال ولا الاختراع الا ما ساقته القريحة عفوا . لكنه لما نظم ارجوزته التي اولها «ما اجدر الايام والليالي» عاد الى رايه الاول من الاغراب والتكلف لانه كان في اراجيزه يقصد محاكاة البدويات(١٢) ، ولذلك ترى كل ما له من هذا النوع معقدا جافي اللفظ والتركيب ، لا يشبه سائر شعره ، ولا عليه شيء من طلاوته وانسجامه .

على اني لا اقول ان كل ما استعجم من شعر المتنبي وخفي سره يكون سببه ما ذكر ، بل اذا تصفحت شعر كل شاعر لم تستغن في بعضه عن فوح زناد الروية واعمال النظر في استبانة المقصود منه لاستعارة غامضة في البيت ، او كناية بعيدة ، او ايجاز لا يصرح معه بتمام القالب اللفظي ، او اشارة الى المراد من طرف خفي . على ان اغراض الشعر في القالب تكون اخفى من اغراض النثر ، وابعد تناولا ، لانتزاع الكثير منها من الصور الخالية(١٣) والتماثيل الوهمية ، ولكثرة ما يعرض فيه من المجاز على تفاوت مسافته من الحقيقة ، فضلا عما للشعر من المقامات الحرجة التي تضطر الشاعر تارة الى احالة الكلام عن وجهه ، نزوله به على حكم الوزن والقافية .

ومعلوم ما كان للمتنبي من سعة التصرف في المعاني ، والاقتدار على الابداع والتبسط في جميع اساليب الشعر وفنونه ، والاحاطة باغراض الحديث وشجونه ، بحيث انه قلما وقعت واقعة ، الا ذكرت للمتنبي بيتا تتمثل به فيها ، حتى كانه كان ينطق بالسنة الحدثان ، ويتكلم بخاطر كل انسان ، ويخطب في كل شان . فلم يكن من العجيب ، مع كثرة معانيه وازدحامها في خاطره ، ومع تبحره في اللغة وطول باعه في اساليب المجاز ، ان يقع في بعض كلامه ابهام لا يظهر معه المقصود ، الا انه ربما اغرب في ذلك بان يوغل في طرق المجاز، حتى يفوت السامع غرضه ، او يتلف له المعنى الكبير يحاول

---

(٧) جرجي زيدان ، مقدمة ديوان « العقد » ص ١٦ .

(٨) سلسلة مناهل الادب العربي ، الحلقة ١٢ ، مكتبة صادر، بيروت ، ص ٥٢ ــ ٥٦ .

(٩) العروض : جمع العرض ، وهو الظهور والسمة .

(١٠) العداد : اهتياج وجع اللديغ بعد سنة .

(١١) السليم : اللديغ .

(١٢) البدويات : أي الاراجيز البدويات (اليازجي) .

(١٣) الخالية : نسبة الى الخال ، وهو المخيلة (اليازجي).

ادماجه في اللفظ اليسير ، فيبالغ في الايجاز ويضيق اللفظ على المعنى ، حتى لا يبقى للنظر اليه مجاز ولا للفكر فيه مجال ، فاذا انتهى الشارح الى مثل ذلك ، لم يتات له فهم المعنى وتمثيله ، الا بالتاويل والتبديل والزيادة على لفظ البيت . وربما اضطر الى الزيادة على المعنى ايضا بما يتم صورته ويسد خصاصه(١٤) . وناهيك ما هناك من سعة وجوه الاحتمال، وضيق مسافة الاشكال ، مما تحار عنده بصائر النقاد ولايقطع في جنبه بمراد . ولعل هذا هو المقصود في قول من ينسب خفاء معانيه الى الدقة والابتكار ، لكنك ، اذا تحققت ، وجدت ذلك كله غير خارج عما سبق الكلام عليه من الابهام في صور التعبير ، ووقوع اللفظ من دون مرمى المعنى » .

ولو اتسع وقت الشيخ ابراهيم اليازجي لنقد وتقييم شعر فحول شعرائنا الغابرين ، بمثل هذه النزعة الموضوعية والدقة العلمية وبمثل هذا التحليل النفسي الصحيح ،لاصاب منه النقد العربي خيرا كثيرا .

* *

وبدافع من بر ابراهيم بابيه العلامة الشيخ ناصيف ، فقد انبرى للدفاع عنه في مجلة « الجنان » عندما خطاه العلامة احمد فارس الشدياق ، بعد وفاة الشيخ ناصيف ،وانكرعليه عروبة بعض الكلمات التي وردت في كتابه « مجمع البحرين » من امثال « الفطحل » و « المرابض » . وكان الشيخ ابراهيم في الرابعةوالعشرين والشدياق في السبعين ، لهذا لم يستطع ان يبز الشدياق في العلم ، ولكنه بزه في الخلق الكريم ، ذلك لان الشدياق لم يترفع عن الشتم الرخيص بعكس الشيخ ابراهيم الذي التزم جانب الحلم والترفع عن الهبوط .ويقول الاستاذ بطرس البستاني(١٥) عن هذه المعركة الادبية العنيفة الطريفة :

« بدات شهرة اليازجي يهب ريحها ، ولما يزل رخص الانامل،طري العود ، فقد كانت مقارعته لاحمد فارس الشدياق اشبه بمقارعة بديع الزمان الهمذاني لابي بكر الخوارزمي ، فلفتت اليه الانظار ، وتحدث به الناس ، وعطف عليه النصراء » .

واصدر الشيخ ابراهيم مجلة « الطبيب » في «بيروت» سنة ١٨٨٤ مع الدكتورين « بشارة زلزل »(١٦) و « خليل سعادة » . ونشر في هذه المجلة الطبية مقالات لغوية وادبية قيمة . ولعل اهم ما نشره فيها مقاله « امالي لغوية » الذي فتح له باب الشهرة على مصراعيه فاطلق عليه البعض لقب « اللغوي المدقق » . وبعد سنة حجبت مجلة « الطبيب »لقلة المقبلين على المباحث العلمية الرصينة ، وكانت الانظار ،يومئذ، متجهة الى ارض الكنانة نظرا لتمتع اصحاب الاقلام فيها بقدر لا يستهان به من حرية الفكر ، فصمم الشيخ ابراهيم اليازجي على انشاء مطبعة ومجلة علمية في « مصر » واتفق على هذا الامر مع الدكتور بشارة زلزل شريكه في مجلة « الطبيب». وغادر اليازجي « بيروت » سنة ١٨٩٣ متجها الى اوربا حيث

(١٤) الخصاص : الخلل (اليازجي) .

(١٥) ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بيروت ١٩٣٧ ، ص ٢٦٥ .

(١٦) طبيب ، باحث ، لبناني توفي سنة ١٩٠٥ . من مؤلفاته « تكملة الحديث في الطب القديم والحديث »

اعد بعض ما يحتاجه المشروع من الات وغير ذلك ، ثم سافر الى « القاهرة » وانشا مع شريكه زلزل مطبعة « البيان » واصدرا مجلة « البيان » سنة ١٨٩٧ ثم عدلا عن اصدارها بعد سنة وافترقا . ثم انفرد الشيخ ابراهيم باصدار مجلة«الضياء» سنة ١٨٩٨ وكان اتجاهها علميا ، ادبيا ، صحيا ، صناعيا ، وكانت ، على الاجمال ، بمستوى مجلتي « المقتطف »و«الهلال» المصريتين الشهيرتين وقد بزتهما بمتانة الاسلوب وصفاء اللغة ، حتى حال الاجل المحتوم دون اصدارها ، وذلك في عامها الثامن ، فقد داهم السرطان الوبيل كبد اليازجي بعد تحرير اخر اعدادها ، فاعلن توقفها عن الصدور ريثما يشفى ، فشفاه الموت من اتعاب الحياة في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٠٦ ، وفي سنة ١٩١٣ نقلت رفاته الى « بيروت »ودفن في مقبرة الروم الكاثوليك في الزيتونة بجوار ابيه واخويه الشيخين « حبيب اليازجي » و « خليل اليازجي »(١٧) .

لقد توفي الشيخ ابراهيم اليازجي من غير ان يعقب ولدا لانه لم يتزوج ، ولكن آثاره اللغوية والادبية هي خير ذريةيمتد بها عمره عبر الزمان ..، ولعل اهم آثاره الخالدة مجلة « البيان » التي ظهر منها مجلد واحد نشر فيه الشيخ بحثه اللغوي المشهور « اللغة والعصر » الذي نظر فيه الشيخ نظرة تقدمية الى لغتنا العربية الجميلة التي اراد لها ان تتطور لتجاري روح العصر والتقدم الحضاري المستمر . وبحثاليازجي هذا ـ في نظري ـ ينبغي ان يكون سراجا وهاجا تستضيءبنوره مجامعنا العلمية اللغوية في الوطن العربي ، لان من المؤلم والمؤسف ان ترتفع صيحة عالم لغوي في اواخر القرن التاسع عشر ولا تلبى بالشكل المطلوب حتى الثلث الاخير من القرن العشرين !

الا ترى معي ان اليازجي كان وما زال محقا بقوله :

« لم يبق في ارباب الاقلام ومنتحلي صناعة الانشاء ، من هذه الامة ، من لم يشعر بما صارت اليه اللغة ، لعهدنا الحاضر ، من التقصير بخدمة اهلها ، والعقم بحاجات ذويها ، حتى لقد ضاقت معجماتها بمطالب الكتاب والمعربين ، واصبحت الكتابة في كثير من الاغراض ضربا من شاق التكليف ، وبابا من ابواب المحنت . واللغة لا تزداد الا ضيقا باتساع مذاهب الحضارة وتشعب طرق التفنن في المخترعات والمستحدثات ،الى ان كادت تنبذ في زوايا الاهمال وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوال . ومست الضرورة الى تدارك ما طرا عليها من الثلم قبل تمام العفاء ، وقبل ان ينادي عليها مؤذن العصر : سبحان من تفرد بالبقاء ، ويختم على معجماتها بقصائد التابين والرثاء .

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بانها الغزر الالسنة مادة ، واوسعها تعبيرا ، وابعدها للاغراض متناولا ، واطوعها للمعاني تصويرا ، قد افضت اليوم الى حال لو رام

(١٧) اصغر اولاد الشيخ ناصيف اليازجي . ولد سنة ١٨٥٦ ، وتوفي سنة ١٨٨٩ . شاعر وناثر ، له ديوان « نسمات الاوراق » و « المروءةوالوفاء » وهي رواية تاريخية ، تمثيلية سعربة ،غنائية.عني بتنقيح كتاب(كليلة ودمنة) وفسر الغريب من الفاظه وضبطه بالشكل الكامل ووقف على طبعه « فجاء اضبط نسخ هذا الكتاب المعروفة » كما يقول جرجي زيدان في الجزء الثاني من كتابه « مشاهير الشرق » ط٢ ، مط الهلال سنة ١٩١١ ، ص ٢٩٩ .

الكاتب فيها ان يصف حجرة منامه ، لم يكد يجد فيها ما يكفيه هذه المؤونة اليسيرة ، فضلا عما وراء ذلك من وصف قصور الملوك والكبراء ومنازل المترفين والاغنياء ، وشوارع المدن الغناء ، وما ثم من آنية واثاث وملبوس ومفروش ، وغير ذلك من اصناف الماعون وادوات الزينة ، مما لا يجد لشيء منه اسما في هذه اللغة ، ولا يكون حظ العربي من وصفه الا العي والحصر(١٨) وطي لسانه على معان في قلبه لا يتسنى له ابرازها بالنطق ، ولا يجد سبيلا الى تمثيلها باللفظ ، كان المقاطع التي يعبر بها عن هذه المشخصات لم يخلق لها موضع بين فكيه، وليست مما يجري بين لهاته(١٩) وشفتيه ، فعاد كالابكم يرى الاشياء ويميزها ، ولا يستطيع ان يعبر عنها الا بالاشارة ، ولا يصفها الا بالايماء .. »(٢٠) الخ .. الخ ..

اما مجلته « الضياء » فقد نشر في مجلداتها الثمانية مقالات متسلسلة يمكن ان تجمع في كتب عديدة كسلسلة مقالاته : « لغة الجرائد » التي طبعت بعد وفاته ، فقد نبه اليازجي في هذا البحث المفيد على المخاطر والمحاذير الناجمة عن ابتعادكتاب الجرائد عن اللغة العربية الصحيحةوتمسكهم بالفاظ لا يقصدون بها مدلولها اللغوي الحقيقي الى غير ذلك من الامور التي يستسهلها كتاب الجرائد عادة ، وقد ضرب اليازجي كثيرا من الامثلة على ذلك بعد ان مهد لبحثه بسطور أوضح فيها محاذير الغلط في اللغة بقوله :

« ..ولا يخفى ان الغلط في اللغة اقبح من اللحن في الاعراب ، وابعد عن مظان التصحيح لرجوعها الى النقل دون القياس ، فيكون الغلط فيها اسرع تفشيا أو اشد استدراجا للسقوط في دركات الوهم . والعجب هنا انك كثيرا ما ترى اناسا ، من متقدمي الكتاب وذوي القدم الراسخة في اللغة والانشاء ، يعتمدون احيانا على التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر اهل الصناعة ، حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها ، واصبح كثير من الفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجما بحاله . ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه ان تفسداللغة بايدي انصارها والموكول اليهم امر اصلاحها، وهو الفساد الذي لا صلاح بعده ، رأينا ان نفرد لذلك هنا الفصل نذكر فيه اكثر تلك الالفاظ تداولا ، ونتبه على ما فيها ، مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة »(٢١) الخ ..

ومما نشره اليازجي في « الضياء » مقالة جيدة في «التعريب» بين فيها شروط التعريب وتاريخ ذلك في صدر الاسلام ، وبحثا تناول فيه الاغلاط اللغوية عند العرب تحت عنوان « اغلاط العرب » وبحثا عن « اللغة العامية » ، واللغة الفصحى » و « اصل اللغات السامية » وبحثا عنوانه « نقد لسان العرب » انتقد فيه بصورة مفصلة الطبعة المتداولة آنذاك من معجم « لسان العرب » وبحثا عن « اغلاط المولدين » بين فيه ما وقع للمولدين من الغلط اللغوي من صدر الاسلام حتى تاريخ كتابة بحثه فاعلن ، بصراحته المعهودة ، حتى ما وقع لوالده الشيخ ناصيف اليازجي من اخطاء لغوية ، بل ماوقع هو فيه من بعض الاخطاء !

ومن مؤلفات اليازجي القيمة التي اتيح لها ان تطبع كتاب « نجعة الرائد في المترادف والمتوارد » الذي يقع في ثلاثة اجزاء ، وقد ظهر منه جزءان واما الثالث فقد حال الاجلدون تاليفه . وهو كتاب لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة للكاتب الاديب الذي يدفعه عمله الكتابي الى الوقوف على الالفاظ والمصطلحات والجمل المناسبة لموضوع معين .

وكان الشيخ قد شرع بوضع معجم للغة العربية يشتمل على المانوس من كلام العرب الاولين وما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين ، مقتصرا على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح سماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » .وقد حالت كثرة اشغاله دون اتمامه ، فبقي هذا المؤلف مبعثرا في اوراق متفرقة او مدونا في حواشي الكتب ، شانه شان معجم « المساعد » للعلامة الاب انستاس ماري الكرملي الذي بقي في قصاصات الاوراق وحواشي المعاجم لمدة طويلة الى ان تصدى له الاستاذان كوركيس عواد وعبدالحميد العلوجي فاتما جمع وتحقيق الجزء الاول منه سنة ١٩٧٢ واتما الجزء الثاني منه الذي صدر في هذه السنة .

* *

وقد طغت شهرة الشيخ ابراهيم اليازجي كلغوي مدقق على شهرته كشاعر مجلق ، وعلى شهرته كعالم من علماء الرياضيات والفلك ، شانه في ذلك شان عمر الخيام الذي طغت شهرته كشاعر على شهرته كعالم رياضي وفلكي . فقد كانت للشيخ ابراهيمباحثات طويلة مع علماء الفلك الفرنسيين فضلا عن مساهمته في حل المشكلة الرياضية المشهورة الا وهي قسمة الدائرة الى سبعة اقسام ، حيث توصل الىنتيجة تقرب من الصواب وبعث بها الى المجمع العلمي الفرنسي ، ونظرا لما له منخبرة في علم الفلك فقدانتخب عضوا فيالجمعيات الفلكية في « باريس » و « انفرس » و « السلفادور » وكان ماهرا في صناعة الحفر والتصوير اليدوي . وهو الذي صنع « روزنامة » ـ تقويم ـعربية ، وقد اعد حروفها بيديه ، كما صنع بيديه حروف الطباعة المعروفة بحرف « سركيس » . ولما جاء القاهرة اصطنع الحرف المعروف بـ (بنط ٢٠) وقد عثيت به مسابك القاهرة وشاع استعماله في مطابعها . وهكذا انطبق عليه لقب « العالم العامل » تمام الانطباق ..

وليس غريبا ان يموت اليازجي فقيرا بعد ان ادركته حرفة الادب وبعد ان عاش ابي النفس ، زاهدا ، طاهر الضمير ، ناصع الصفحة ، وقد وصف سجاياه الحميدة صديقه « جرجي زيدان » بقوله (٢٢) :

« ... وكان عفيف النفس ، كثير الاباء ، ظاهر الانفعالى حد الترفع ولاسيما في ما يتعلق بالارتزاق ، يعد مجاملة الناس في سبيل الارتزاق تملقا ، وكلما قل ماله زادت انفته وعظم اباؤه ، وكثيرا ما اراد اصدقاؤه اقناعه ان سنة الارتزاق تقضي بمجاملة الناس والتقرب من كبارهم بالحسنى ، فربما اطاع ناصحه برهة ، ثم يعرض له خاطر فيعود الى الاباء ، ولولا ذلك لعاش في سعة وراحة ، ولكن القناعة كانت من اكبر اسباب سعادته » .

الى ان يقول :

« ومن اباته وكرم اخلاقه انه كان صادقا في معاملته على

---

(١٨) الحصر : العي في النطق (اليازجي) .
(١٩) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .
(٢٠) مناهل الادب العربي ، ص ٧ـ ٨ .
(٢١) مناهل الادب العربي ، ص ٢٢ ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢٢) مشاهير الشرق ، ج ٢ ، ط ٢ ، ص ١٢٣ .

اختلاف وجوهها . لا يحلف ولا يظلف ، امينا في ما ينقله او يقتبسه من الاراء او الاقوال ، ينسب الفضل الى صاحبه وكان عكس ذلك في ما يفعله هو مع الآخرين من تصحيح مقالة او تنقيح عبارة ، فانه كان شديد الانكار لذلك ، ولكن دبباجته كانت تنم عليه لظهور أسلوبه من خلال السطور » .

ووصف سجاياه الحميدة تلميذه الشاعر الشهير خليل مطران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) بقوله(٢٣) :

« راعني الشيخ بكمال سيرته ، ورجاحة عقله ، وسعة معارفه ، واحاطة خبرته بالناس ، فلزمته لزوم المتأدب والمريد زمنا طويلا ، ولا ابالغ بقولي انه اذا كان الانسان في ظاهره وباطنه لا يخلو من العيوب ، فقد كان الشيخ من اقل الناس عيوبا ، بل اقول ولا ابالي عاقبة التصريح على سمته ، ان كل ما تمنيت على الله ان يزيده في مناقبه ومحامده هو خلة العفو ، فقد كان منتقما لشرفه وشرف بيته ، ينتقم مدافعا لا مبادئا ، واذا ضرب ضرب بتؤدة تبصر ناظرا الى المقاتل ، وقلما تصدى لخصم الا تركه صريعا جريحا جرحا مشفيا ، على انه لم ينبر لاحد الا عن عدل وحق » .

* *

اما عن شعر الشيخ ابراهيم اليازجي ، فمن المعروف ان شعر علماء اللغة لا يرقى الى مستوى الشعر العالي في الاحاسيس والاخيلة والصور والاستعارات . فالشاعر المطبوع ذو مزاج خاص هو غير مزاج عالم اللغة ، ومخيلة خاصة هي غير مخيلة عالم اللغة ، وحاسة فنية خاصة هي غير حاسة عالم اللغة .

والشيخ ابراهيم نشأ شاعرا مطبوعا ولم ينشأ لغويا ، لهذا فان شعره لم يكن حصيلة مزاج اللغوي ومخيلته وحاسته الفنية ، فجاء شعره ، على الاجمال ، جيدا .

ومن المعروف ان شعر المناسبات كان رائجا في الفترة الزمنية التي عاصرها اليازجي ولم يفقد هذا الشعر التقليدي سلطانه حتى خلال الربع الاول من القرن العشرين ، بدليل ان « خليل مطران » الذي كان رائد التجديد في شعرنا الحديث لم يستطع ان ينزه شعره عن المجاملات الكثيرة ، لذا فاننا لا نستغرب عندما نرى ان صفحة من ديوان « العقد » للشيخ ابراهيم اليازجي مكرسة للتواريخ الشعرية التي تكتب على القبور !..

* *

ولا نبتعد عن الحقيقة قيد انملة اذا قلنا ان الشيخ ابراهيم اليازجي كان رائد الشعر القومي العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد نظم قصيدتين طويلتين قصد بهما ايقاظ الامة العربية وحثها على الثورة ضد العثمانيين الذين حاربوا العروبة واشاعوا الفقر والجهل والمرض في الديار العربية .

واذا علمنا ان تاريخ نظم القصيدتين انما يرجع الى سنة ١٨٨٣(٢٤) ، ازددنا يقينا بان الشيخ ابراهيم اليازجي هو رائد هذا اللون من الشعر في عصرنا الحديث ، وانه كان مستيقظا في فترة مظلمة كثر فيها النيام والمتخدرون ..

قال « جرجي زيدان »(٢٥) عن قصيدتي الشيخ ابراهيم « تنبهوا واستيقظوا أيها العرب » و «دع مجلس القيصر الاوانسي » :

« والقصيدتان مهيجتان اقتضتهما بعض الاحوال السياسية في سوريا من التحريض على النهوض . ولعل الفقيد حمل على نظمهما باشارة من جماعة او أمر رجل كبير ، فجاء نظمهما بليغا » .

ولا يخلو هذا القول من دس ومغالطة ، فكأن اليازجي لا ينظم في المجال القومي الا اذا طلبت منه جماعة والا اذا ائتمر بأمر رجل كبير .. ، وكأن هاتين القصيدتين انما تعنيان عرب سورية لا عرب الامة العربية بأسرهم !!

وقد عودنا المؤرخ « جرجي زيدان » على مثل هذا الدس وعلى مثل هذه المغالطة كلما انصب بحثه على شخصية عربية متميزة بمواقفها الوطنية ضد الاستعمار(٢٦).

ولنعد ، بعد ان استعرضنا هذه الحقائق التاريخية التي لا يصح اغفالها ، الى بائية اليازجي لنرى كيف اهاب شاعرنا الثائر بالعرب ان يستيقظوا وينبذوا الآمال المغرية الكاذبة التي لا تدرأ خطبا ، ولا تدفع محنة . ثم اليس من طبيعة العربي ان يغضب اذا استفضب ؟ اليس العربي صاحب نخوة ؟ اسئلة تلذع قلب الشاعر فيصرخ قائلا :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى الخطب حتى فاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
وانتم بين راحات الفنا سلب
لله اكبر ما هذا المنام فقد
شكاكم المهد واشتاقتكم الترب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستفضبون ولا يبدو لكم غضب
الفتم الهون حتى صار عندكم
طبعا وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتكم ، لطول الذل ، نخوتكم
فليس يولمكم خسف ولا عطب

ولا يغرب عن ذهن شاعرنا الحر الثائر ان التعصب الطائفي الاعمى البغيض ، هو من اقوى اسباب الفرقة والتنابذ والتباعد والتفكك ، وبالتالي من اعدى اعداء اليقظة العربية ، فيقول :

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب » سنة ١٨٦٨ وهذا التاريخ ينافي ما كتبه ناظم القصيدة بخطه في ص ٥٦ من ديوانه « العقد » حيث ذكر سنة ١٨٨٣ .

(٢٥) مشاهير الشرق ، جـ٢ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ .

(٢٦) راجع « مشاهير الشرق » جـ٢ ، ط ٢ ، ص ٣٣٦ لتقف على تشكيكه بموقف الشاعر الثائر محمود سامي البارودي من الثورة العرابية التي ساهم فيها البارودي ونفي بسبب ذلك ، وتجد تعليقي على ذلك في مقالي عن « البارودي » المنشور في كتابي « مع الشعراء » ، دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٦-٧ .

(٢٣) عيسى ميخائيل سابا ، ص ٣٢ .

(٢٤) ذكر الاستاذ «عيسى ميخائيل سابا » في ص ٤٩ من كتابه « الشيخ ابراهيم اليازجي » ان تاريخ نظم قصيدة

خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا
على الوئام ودفع(٢٧) الظلم تعتصب

ولا تفوته النظرة الى الناحية الاجتماعية ، والمشكلات الطبقية ، وهو في اوج حسه القومي الملتهب ، فيغمز التحكم العثماني الاقطاعي الرجعي بالارض وصاحبها قائلا :

فصاحب الارض منكم ضمن ضيعته
مستخدم وربيب الدار مغترب

ثم يذكر قومه العرب بمجدهم الزاهر الغابر وعزهم القديم الباسم فيستحث الهمم ويهز العزائم :

الستم من سطوا في الارض وافتتحوا(٢٨)
شرقا وغربا ، وعزوا اينما ذهبوا
ومن اذلوا الملوك الصيد فارتعدت
وزلزل الارض مما تحتها الرهب
ومن بنوا لصروح المز اعمدة
لهوي الصواعق عنها وهي تنقلب

وقد جعل اليازجي الابيات الآنفة الذكر تمهيدا وتبريرا لعتابه التالي :

فما لكم ، ويحكم ، اصبحتم همملا
ووجهه عزكم بالهون منتقب(٢٩)
لا دولة لكم يشتد ازدكم
بها ، ولا ناصر للخطب ينتدب

بعد هذا يستعمل الشاعر لهجة جديدة بالغة الاثارة ، فيخاطب قومه بما يؤجج فيهم نيران النخوة العربية ، داعيا، بصراحة ، الى الثورة لنسف الاوضاع الشاذة التي كانت قائمة آنذاك :

فيا لقومي وما قومي سوى عرب
ولن يضيع فيهم ذلك النسب
هب انه ليس فيكم اهل منزلة
يقلد الامر او تعطى له الرتب
وليس فيكم اخو حزم ومخبرة
للعقد والحل في الاحكام ينتخب
اليس فيكم دم يهتاجه انف
يوما فيدفع هذا العار اذ يثب
فاسمعوني صليل البيض بارقة
في النقع اني الى رناتها طرب
واسمعوني صدى البارود منطلقا
يدوي به كل قاع حين يصطخب

وقد انهى هذه القصيدة القومية الملتهبة التي تقع في ٤٨ بيتا بابيات تنبأ فيها بمصير الامبراطورية العثمانية .. ذلك المصير الذي تحقق بعد ٣٥ سنة من تاريخ نظم هذه القصيدة ..

* *

وفي قصيدة « دع مجلس الغيد الاوانس » التي نظمها في السنة نفسها (١٨٨٣) يعمد شاعرنا الى اسلوب آخر في مجال ايقاظ الهمم والهاب العزائم ، الا وهو اسلوب تحذير الانسان العربي من الانهماك في الملذات ومن الركون الى العيش الهانيء الناعم الذي يخدر الاعصاب ، ويدعو الى الكسل، لئلا تتسع الثغرة التي نفذ منها الدخيل الغاصب ، ويتساءل الشاعر الثائر عن قيمة الترف الذي ينعم به الدليل الذي يترامى على اقدام الدخلاء فيستهل قصيدته بالابيات التالية :

دع مجلس الغيد والاوانس
وهوى لواحظها النواعس
واسل الكؤوس يديرها
رشا كغصن البان ماس
ودع التنعم بالطلا
عم والشارب واللابس
اي النعيم لمن يبيت
على بساط الذل جالس
ولمن تراه بأسرا
ابدا لذيل التمرك باس
ولمن غدا في الرق ليس
يفوته الا المناخس

* *

وبعد ان يعرج الشاعر على الماضي الزاهر للامة العربية المجيدة ، يخلص من ذلك الى وصف حالة امتنا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، تلك الحالة الاليمة التي صورها بريشة المصور الماهر بقوله :

بيد صوامت ليس يسمع
في مداها صوت نابس
الا رياح الجور تكسح
وجهها كسح المكانس
امست بلاقع لا ترى
الا بابصار نواكس
ضحكت زمانا ثم ها
دت وهي كالحة عوابس

ثم يحث العرب على التشبه بابناء « الجبل الاسود » في ثورتهم على العثمانيين وانسلاخهم عنهم ، ويدعوهم الى الاتحاد ونبذ الفرقة والمفرقين ، وينهي قصيدته بوصف الاوضاع الشاذة آنذاك بقوله :

اوامرون الحكم في
ايدي المصادر والماكس

---

(٢٧) كذا في الديوان بخط الشاعر . في حين ان عيسى ميخائيل سابا ذكرها ص ٥٠ « لدفع » .

(٢٨) كذا في الديوان بخط الشاعر . في حين ان عيسى ميخائيل سابا ذكرها في ص ٥٠ « واقتحموا » .

(٢٩) كذا في الديوان بخط الشاعر . في حين ان عيسى ذكرها في ص ٥٠ « منقلب » .

وعلى الرشـــي والـزور قـــد
شـادوا المحـاكم والمجـالس
والحـق اصبـح عنـد مـن
الف الخلاعـة والخـلابس
من كـــل مـن يمـــي الذا
ذكروا له الاصـلاح خـانس
عمت قبـاتحهم فامسـت
لا تحيط بهـا الفهـارس
حـال بها طـاب التبسـم
للوفى والمـوت عـابس

*

ولا نعرف عن حياة الشيخ ابراهيم الغرامي شيئا ... ، ولكننا نستبعد ان يكون الشيخ بعيدا عن جهنم الحب او جنته، ذلك لانه شاعر مرهف الحس ، لطيف الذوق ، انفق شبابه وكهولته في البيئة اللبنانية المتميزة بجمال الطبيعة وجمـال النساء وظرفهن ..، والظاهر ان وقار شيخنا كان يحول بينه وبين الافصاح الصريح عن مشاعر الحب المحتدمة في صدره ، فاحجم عن نظم القصائدالصريحة في الغزل ، وذلك بعكس تلميذه الشاعر « خليل مطران » الذي صورت كل قصيدة من قصائده الغزلية تجربة غرامية عاشها الشاعر ..

اننا لا نهتز ، اطلاقا ، ونحن نقرا الابيات التاليـة التي نظمها(٣٠) اليازجي وحملنا عبء حشرها في سجل الحب والغزل :

سترت حبك في قلب اليك صبـا
شوقا وخير الهوى ما كان مستورا
فلا تظنن قلبي عنك منصـرفا
وان يكن بات بالاشجان مكسورا
لكن رب الهوى والحب متهـم
ما زال محتـذرا طورا ومحـذورا
فملت للهجـر لا عن رغبـة ورضـى
لـكن اعد لدى التحقيق مهجـورا

ولم يخرج اليازجي على النزعة التقليدية التي درج عليها شعراؤنا الغابرون ، وذلك باستهلال قصائد المدح بالغزل . وقلما يجيء الغزل ، في هذا المقام ، وجدانيا ، مشبوبا ، لانه ليس مقصودا لذاته . من ذلك قول اليازجي في مستهل قصيدته(٣١) التي مدح بها « محمد راشد باشا » ـ صاحب ولاية سورية :

يا جيرة الحي الالى قضت النـوى
ببعادهم فقضت بقرب حمـامي
فارقتم طرفي القـريح وحلتـم
بالسهد ما بيني وبـين منـامي

(٣٠) العقد ، ص ٧٦ .
(٣١) العقد ، ص ١ .

وتركتم لي مهجـة مسلوبـة
في كف كل مغـرب نسـام
وجوانحـا حرى تذوب من الاسى
وجوارحا امست رميم عظـام
نزل الفراق بنـا فما لك موضـع
يا صبر عندي ، فارتحل بسـلام

فعبثا نحاول ، والحالة هذه ، ان نسمع نبضـات قلب اليازجي العاشق في مثل هذا النظم الذي لا يمت الى الشعر الحقيقي بصلة ، او في الثنائيات الغزلية المبعثرة في نهايـة ديوانه .. وكاني به كان ينظمها للتفكهة والدعابة ، لا ليشكو من نار غرام او جور حبيب هاجر كقوله(٣٢) :

يا نائيا عني حرمت وصـالـه
بالله قل كيف السبيل الى اللقـا
ان كان اجر العاشـقين بصبرهم
فانا الذي صبري قضى ولك البقا

وكان حرارة مراثي شيخنا تثار من غزلياته الباردة .. فاننا نحس بحرارة لوعته في مراثيه . اقرا قصيدته في رثاء صديقه « وهبة الله نوفل الطرابلسي »(٣٣) فستشجيك لوعـة الشاعر الذي اطلق العنان لتاملاته وطفق يفكر باممان في المصير المحتوم الذي ينتظر كل حي على وجه البسيطة :

ايهـا النـائح المبكـر مهـلا
جاوز الامر دمعك المسـتهلا
شـق من قلبنـا الورى كل قلب
ولقد كان ، لو شفى الناس ، سـهلا
انما نحـن ثـاكل وصريـع
ذاك يشقى وذاك في الترب يبلى
ليس ارض لم يسقها صوب دمـع
او سماء لم يشجها نـوح ثـكلى

واننا لنحس بمثل هذه الحرارة في قصيدته التي رثى بها الامير «محمد رسلان»(٣٤) المتوفى بالقسطنطينية سنة ١٢٨٥هـ. فبعد ان يمهد لمرثيته بابيات مستوحاة من الموت والفناء ،لاتخلو من عبرة ، ولا تخلو من صور مستساغة ، فانه يشرع بتصوير لوعته وشوقه الى الغائب الحبيب بالابيات المؤثرة التالية :

احبتنـا ما اغلب الهجر بيننـا
اذا كان حبل الوصل لابد يفصم
انسنا بطيب الوصل في الارض مـدة
وما طيب وصل بالتفرق يشـؤم
سـلام على قبـر توسـد تربـه
حبيب عليـه من بعيـد اسـلم

(٣٢) العقد ، ص ٧٩ .
(٣٣) العقد ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(٣٤) العقد ، ص ٣١ ـ ٣٣ .

وما كان يجدي لو تداني ودونـــه
من الرمس قد امسى حجاب مخيم
لئن لم تصب عيني ثـراه فان لي
هنـالك قلبا منـه قد فطـر الـدم

وفي هذه المرثية ابيات في مدح سجايا المرثي تذكرنابفخامة وروح شعر المتنبي ، وكيف لا نذكر شعرابي الطيب ونحـن نقرا الابيات التالية :

عزيز لـــه في كل عـين مدامـع
وفي كل قلب جمـرة تتضـــرم
وكم من جيوب بل قلوب تشـققت
عليـه وكم من اوجـه فيه تلطـم
ولما نعي في ارض لبنـان اوشـكت
جنـادله من حسـرة تتـالم
كـريم له مـن آل رسـلان محتد
ومن نفسـه مجد سني معظـم
ومن ذكـره ما يعجز الدهـر سلبه
ومن شـكره في كل ذي منطق فـم

* *

وقد اتضح لنا ، من عرض سيرة الشيخ ابراهيم انه كان نابغا في ميادين اللغة والادب والفن، وانه كان يمتلك ، الى جانب هذه الثروة العلمية ثروة خلقية لا تقدر بثمن ، فليس غريبا ـ والحالة هذه ـ ان تنطلق نحوه سهام الحاسـدين العاجزين عن اللحاق به في دربي ادب الدرس والنفس ، وكان الشيخ يعرف هؤلاء جيدا فيزدريهم تارة ، ويرد لهم الصاع صاعين تارة اخرى . اسمعه في قصيدته(٣٥) التي اجاب بهـا صديقه الناقد الشاعر المرحوم « قسطاكي الحمصي »(٣٦) على ابيات كتب بها اليه من حلب . ففي هذه القصيدة يعلن الشيخ المجرب موقفه من اللؤماء والحاسدين ، ويتحدث ، مضطرا، عن مزايا نفسه الحرة النبيلة حيث يقول :

نازلت صبـري الخطوب فولت
عائـرات باليـاس بعـد مناهـا
تركت في شـباته تلمـات
مثل ما في رؤوسـها وشـواها
والليـالي عدوها كـل حـر
ناصبتـه الظغـام تحت لواهـا

الى ان يقول :

من عذيـري من عصبـة انا ممـن
لامنـي في تظامني لولاهـا
وعظتنـي بجهلهـا فافادتني
رشـدا وفات رشدي هداهـا
واذا الرفق لم يفـد كان في الشـد
ة رفق بالنفس يشفي اذاهـا
واذا الحـلم جر حرب سـفاه
فمن الراي ان يصـر سـفاها

وانك لتسمع مثل هذه الصيحات الوجدانية العالية في رائيته الرائعة التي اجاب بها السيد رزق الله حسون في بلاد المغرب عن رسالة بعث بها اليه . ففي هذه الرسالة الشعرية تنديد بمرضى النفوس من ذوي الخلق الواطىء الخليقـين بابتسامة الحر الكريم الساخرة :

بكـرت الي الحادثـات فلم ازل
منهن بين نواجـذ واظافـر
وتالفت عنـدي الهموم ففـرقت
همي وما برح القضـاء مساوري
نزلت بي الدنيـا على ارباهـا
فافضت بين موارد ومصـادر
وباوت من اهل الزمـان سـرائرا
هي مصـرع الساهي ومنجى السـاهر
فسمعت حتى لست احمد مسمعي
ونظرت حتى لست احمد ناظـري
والعـين آذى للبصـير وربمـا
سـلم الضرير وكان عين العـاثر
خلق يمـر بها الكـريم ووجهـه
في اعين النظـار اغرب سـافر
من كل خناس اذا اسـتقبلته
فاذا انقلبت رنا بمقلة شـازر
ولقد رايت فما رايت اشـد من
مراى العزيز على حسود صافـر
ومن المهانة ان تقـابل هينـا
يقـلاك الا بابتسـامة سـاخر

وهكذا عز على الشيخ ابراهيم اليازجي ان تهـان الفضائل وتخذل القيم الرفيعة فكان مثال العالم الزاهد طوال مراحل رحلة العمر . فاصبح مثلا يحتذى في علمه وسيرته .

---

(٣٥) العقد ، ص ٥٣ ـ ٥٦ .

(٣٦) ولد في حلب سنة ١٨٥٨ وتوفي فيها في التاسع من اذار سنة ١٩٤١ .وكان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، يعد من رواد التجديد في الشعر والنقد . اشهر مؤلفاته « منهل الوراد في علم الانتقاد » .